**مقياس فلسفة الدين**

**سنة ثانية ماستر**

مفهوم **الدين**:

هناك عدد من التعريفات المختلفة للدين، منها ما هو ظاهراتي يحاول عرض ما هو مشترك بين أشكال الأديان المعروفة، مثل: “الدين اعتراف بشري بوجود قوة فوق بشرية مسيطرة، هي الإله أو الآلهة الذين يستحقّون الطاعة والعبادة.”Concise Oxford Dictionary)). ومنها ما هو تأويلي، وسيكولوجي مثل “الدين عبارة عن إحساسات وأعمال وتجارب البشر في العزلة حين يشعرون بالارتباط بشيئ يعتبرونه إلهاً” (وليام جيمس). وهناك تعاريف سوسيولوجية للدين مثل: “الدين مجموعة اعتقادات، وممارسات، ومؤسسات اجتماعية طوّرها البشر في مجتمعات مختلفة” تالكوت بارسونز(Talcott parsons) ويعرّفه آخرون، – كالطبيعيين-، بأنه “مجموعة وساوس وشكوك تعيق ممارسة الأعمال بحرّية” (SalamonReinach سالمون ريناخ) أو بشكل أكثر تعاطفاً: “الدين هو القيم الأخلاقية التي تعالت واشتعلت بالمشاعر” (ماثيو أرنولد Mathew Arnold) وهناك طبعاً تعاريف دينية للدين مثل: “الدين هو الاعتراف بأن كل الأشياء هي مظاهر لقوّة لا نستطيع إدراكها”. (Herbert spencer)، أو “الدين استجابة الإنسانية للألوهة”.

إلا أن هذه التعريفات مشروطة؛ لأنها تقرّر كيف تستعمل المصطلح وتفرضه بشكل تعريف. وربما كان ثمة وجهة نظر أكثر مرونة تنفي أن يكون لكلمة “دين” معنى واحد، من باب أن الظواهر المختلفة التي تندرج ضمنها تتعلّق بها بالطريقة التي يشبِّهها الفيلسوف لويدفيغ فتغنشتاين Ludwig Wittgenstein بالعائلة؛ مستخدماً مثلاً خاصاً على ذلك كلمة “لعبة”، فأنت لا تستطيع أن تعرّف اللعب بأنه ما يُؤدّى للتسلية (لأن بعض الألعاب يُلعب للكسب)، أو للتنافس (فبعضها يكون تمثيلياً) أو ما يتطلّب مهارة (لأن بعضها يتعلق بالحظ)، فهي بالفعل لايمكن أن تُنظر من جهة واحدة.

 تعتمد هذه الأنواع المتداخلة من الألعاب، في خصائصها على أنواع أخرى تتداخل بدورها وبطريقة أخرى مع أنواع أخرى، والتشكيلة التي تتفرّع عنها تترابط في شبكة معقّدة من التشابهات والاختلافات كتلك التي تظهر في العائلة، ويمكن تطبيق فكرة فتغنشتاين Wettgenstein على كلمة “دين”، إذ ربَّما لا توجد خصائص موحّدة لشيء يسمى: “الدين”، بل “عائلة من المتشابهات”. ففي كثير من الأديان توجد عبادة الإله أو الآلهة، ولكن في النير فانا والبوذية مثلاً لا يوجد مثل هذا الأمر. وغالباً ما يدعو الدين إلى اللُّحمة الاجتماعية، بينما نجد في أحيان أخرى ميلاً للخصوصية مثل: “ما يفعله الإنسان في عزلته” (A. N. Whithead). وأحياناً يعبِّر الدين عن انسجام داخلي للفرد، إلا أن بعض دعاة الأديان العظام يبدون لمعاصريهم مختلِّي التوازن وحتى مجانين. وهذا النوع من التشابه العائلي، يوجد إلى جانب الفروق الموجودة بين الأديان الكبرى من جهة، وفي الاعتقادات غير الدينية من جهة أخرى، كالماركسية التي لها مثالها الأخروي وهو المجتمع اللاطبقي، ومبدؤها في الحتمية التاريخية، وكتبها، وأنبياؤها، وقدِّيسوها وشهداؤها. وهي في بعض مظاهرها تبدو كشريك ضمن عائلة الأديان، رغم نقضها لبعض، وربما أكثر المقوّمات المركزية للدين. فمسألة اعتبار حركة ما دينية لا يعنى أن يكون لها كل مقوِّمات الدين، بل إنها مسألة موقع في شبكة واسعة الأرجاء من التشابهات والاختلافات.

يوجد في هذه المجموعة المتشعّبة من التشابهات العائلية ميزة منتشرة انتشاراً واسعاً لكنها ليست شاملة، تتعلَّق بما يسمَّى “خلاصاً” أو “حرّية”. وهذه الميزة ليست ميزة الدين “البدائي” أو “المهجور” الذي لا يُعنى سوى بالحفاظ على الأمور في مستوى متوازن تجنباً للكوارث، بل ميزة جميع الأديان، فلكل دين في العالم بنية خلاصية، حيث يدعو للانتقال من وضع مذموم إلى وضع أفضل بما لا يقاس، ويتكلّم بطرق مختلفة عن الخصائص المشوّهة والخاطئة أو المخادعة للوجود الإنساني في حالته العادية، ويعتبر الحياة “حطاماً” إذا عيشت بمعزل عن الإله، أو يعتبرها جزءًا من عالم المايا الوهمي، ويعلن كما في مبادئه الموجودة في كتبه، أن المطلق والحقيقي والمقدَّس الذي صدر عنه وجودنا الحالي؛  هو خيِّر ومنعم، ويمكن البحث عنه والاستجابة له، فهو حقيقة مطلقة وقيمة مطلقة.

**مفهوم فلسفة الدين:**

ظهر مصطلح فلسفة الدين في بداية القرن التاسع عشر، بحيث بدا شيوعه واستعماله للدلالة على مجال فلسفي مستقل ومنفصل، ويرجع الفضل في ذلك الى حد كبير الى الفيلسوف الالماني هيجل في كتابه (محاضرات في فلسفة الدين) المنشور عام(1832)، ويدل مصطلح فلسفة الدين اليوم على فرع من الفلسفة يقوم بتأملات عقلية حول حقيقة الدين والظواهر الدينية. ويرى البعض ان مصطلح فلسفة الدين يحل محل مصطلح الالهيات الطبيعية الذي كان رائجآ انذاك، وكان المراد من الالهيات الطبيعية صنفآ من الالهيات التي تستعمل مناهج البحث ومعايير العقلانية. اذ فلسفة الدين حينما وضع واستعمل كان يدل على فرع من اللاهوت، وجل اهتمامه اثبات عقلانية وبرهانية التعاليم المسيحية، لهذا كان يتراوح بين الفلسفة والالهيات، فهو من جهة يعتبر لاهوتآ ومن جهة اخرى فلسفة

ويجتهد الاتّجاه العام للفلسفة في ضبط وتحديد مفهوم “فلسفة الدين” ورسم مسار مباحثها وبالتالي التدخّل في تحديد ماهيَّة الدين قد تتناقض مع الماهيَّة الوحيانيَّة. لكنّ هذا الأمر يبدو ساذجا عقلا ومستعصيا مسلكا، لأنّ الأسس التي تقوم عليها “فلسفة الدين” تتفرّد من حيث موضوعاتها ومفاهيمها، وتشترك مع الفلسفة بالمعنى الأعمّ في كونها نمط من التفكير والنشاط العقلي من غير المستبعد أنّ تكون الفلسفة ناشطة في محاولة التخلّص من التّراكمات الكلاميَّة التي التصقت بالدين، مع وعي تامّ بأنّ حضورها تاريخيّا كان باهتا أمام هذه السيطرة الموغلة لعلم الكلام القديم، وتفرّده في ضبط مباحث الالهيات تحديدا، واليقين بحقيقة أنّه أصبح عاجزا عن مسايرة الواقع وعلومه المستجدّة، وهنا تتقاطع من جديد مع “علم الكلام الجديد”، في ضرورة القطع مع “علم الكلام القديم” في أغلب رؤاه حول حقيقة الدين، لكن تبقى خصوصيَّة المنهج الفلسفي محدّدة لمستويات التّماهي، وراسمة لحدود التّباين والاختلاف بينهما.

  ليست “فلسفة الدين” سوى «ممارسة التفكير الفلسفي في الدين، فبعد أن يقدِّم الدين منظومته يأتي دور الفلسفة لتمارس فعلها في المنظومة الدينيَّة، فتُعمل منهجيتها في الدين ومعطياته، فالدين يقول مثلا – إنّ هذا المعطى المعرفي يملك هويَّة دينيَّة، فيأتي دور المنهج الفلسفي ليطرح أسئلة عدَّة حول ماهيَّة المعطى الديني، وغائيَّة وجوده، والنتائج التي تترتّب عليه …، فيجري البحث تحت عنوان فلسفة ذلك المعطى الديني»

      تختلف “فلسفة الدين” عن “الفلسفة الدينيَّة” من حيث كونها تسعى لمناقشة الأسئلة المتعلِّقة بطبيعة الدين كدين وحياني، بدلا من مناقشة وتحليل ما أُشْكل من المباحث العقديَّة ضمن نظام إيماني، أو معتقد معيّن وإخراجه إخراجا فلسفيّا من حيث اللغة والبناء باعتماد ألفاظ ذات معان ودلالات خاصة بالخطاب الفلسفي، وعادة ما تتحدّث “فلسفة الدين” وهي البحث الفلسفي في مجال الدين عمّا يتعلَّق بشؤون الدين: منشأ الدين، ضرورة الدين، حقيقة الدين، أهداف الدين، المعرفة الدينيَّة، واقعيَّة القضايا الدينيَّة، إلى غيرها من المباحث الفلسفيَّة المتعلقة بفلسفة الدين والمائزة لها عن علم الكلام» كما تتمايز (فلسفة الدين) عن الدين ذاته، مثلما تتمايز فلسفة العلوم عن العلم ذاته، كما أنّها لا تهدف إلى أن تحلّ محلّ أصول الدين، أو نتاجات المتكلّمين، أو أن تمتهن الإرشاد أو البحث في الأحكام الشرعيَّة والأسس الخلقيَّة التي جاء بها الدين، لكنّها تسعى إلى محاولة جرح المفاهيم الحدّيَّة للدين الموحى بها، وأيضا لمجمل المعتقدات التقليديَّة، في بعدها الكلامي أو الفلسفي التبريري والمبتور، ففلسفة الدين تخضع كلّ المفاهيم التأسيسيَّة والاعتقادات إلى النقد العقلاني الموضوعي والواقعي.  فلسفة الدين هي تناول جديد للدين بعيدا عن التناول التقليدي للمتكلّمين والمؤدلجين المتمذهبين، كما أنّها تتباين وخطاب الفقاهة الغارق في تفريعات الأحكام، وسميوطيقيَّة معنى “تحصيل الظنّ بالحكم”، الذي ينطلق من كونه حكما اجتهاديّا ليصير في النهاية مسألة توقيفيَّة مقدّسة على الأغلب، حتى انحصرت أغلب المدوّنات الفقهيَّة في الاجتهاد ضمن المذهب الفقهي لمدة طويلة من الزّمن.

لقد تساوى في ذلك تقريبا اجتهادات الفقهاء ومقالات المتكلّمين على الأقلّ داخل المذهب الواحد، فقد لبسوا لبوس القداسة، واكتسبوا الحصانة من النّقد والتجريح في أغلب المساحات التي يحاول الباحث اقتحامها ومراجعتها أو التجديد فيها، بنسب متفاوتة

إنّ “فلسفة الدين” ليست سوى مشغل من مشاغل الفكر البشري الذي يسعى إلى أن يكون حركيّا وعقلانيّا في تكوّنه وصياغته ضمن ضوابط «المعرفة المعاصرة، والتي أفترض أنّها قد تجاوزت سيرة علم الكلام وصياغاته، بحيث بات علينا التوفّر على صيغة معرفيَّة جديدة وصياغات مفاهيميَّة من لون جديد، تنطوي على كلّ التزامات المنطلق الديني (العقلي والنصي)، وتتّجه نحو موارد معرفيَّة مفتوحة على الواقع والحياة، والإنسان، خارج دائرة التمذهب والتصنيفات الخاصّة.

وتعد فلسفة الدين التفسير العقلاني لتكوين وبنية الدين عبر الفحص الحر للأديان والكشف عن الطبيعة الدين من حيث هو دين، أي عن الدين بشكل عام من حيث هو منظومة متماسكة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمور مقدسة ومن حيث هو نمط للتفكير في قضايا الوجود وامتحان العقائد والتصورات الدينية للألوهية والكون والانسان وتحرير طبيعة العلاقة بين كل مستوى من مستويات الوجود والبحث في الطبيعة الكلية للقيم والنظم واللمارسات الدينية ونمط تطور الفكر الديني في التاريخ وتحرير العلاقة بين التفكير الديني وانماط التفكير الاخرى، بغرض الوصول لتفسير كلي للدين، يكشف عن منابعه في العقل والنفس والطبيعة واسسه التي يقوم عليها وطبيعة تصوره للعلاقة بين المتناهي واللامتناهي والمنطق الذي يحكم نشأته وتطوره واضمحلالة، وتستعين فلسفة الدين على تحقيق ذلك بمنجزات العلوم الانسانية والاجتماعية، مثل علم النفس الديني وتاريخ الاديان ومقارنة الاديان وعلم الاجتماع الديني والانثروبولوجيا الدينية، لكنها لاتقبل نتائج هذا العلوم قبولآ مطلقآ، بل تختبرها وتمحصها للتميز بين اليقين والمحتمل نتائجها، وفي كثير من الاحيان تستعين بنتائج العلوم الطبيعية. وتعد فلسفة الدين احد اهم مجالات النشاط الفلسفي، هذا الى جانب ان بعض ضروبها تؤدي وظائف هامة في اطار المركب اللاهوتي للمذاهب المسيحية الغربية وتبدي تبعآ لذلك تأثيرآ كبيرآ على الحياة الدينية في بلدان الغرب، اذ فلسفة الدين هي مجموعة التوجهات الفلسفية فيما يخص الدين. وفي مدار الحديث عن فلسفة الدين، تعني في احد ابعادها التعريفية البحث الحر المفتوح في مناشئ ومقومات وطبيعة النظرة الى الدين، وكذلك التي يحملها الدين الى العالم، من موقع معرفي، فأن هذا المعنى هو اقرب الى التوصيف الحيادي والموضوعي، اذ فلسفة الدين هي التفكير الفلسفي حول الدين، فتكون بهذا البيان جزءآ من الفلسفات المضافة وفرعآ من علم المعرفة بالمعنى الاعم، ذلك لأنها تتطرق بالانطلاق من موضوعآ أي استقلالية الدين، ومن الخارج الى البحث والتحقيق في الأمور والموضوعات الدينية. وبذلك ان فلسفة الدين هي الدراسة العقلية للمعاني والمحاكمات التي تطرحها الأسس وتفسيراتها للظواهر الطبيعية وماوراء الطبيعة.

فلسفة الدين مفهوم يراد به امكانية الدرس الفلسفي لمقولة الدين، وفلسفة الدين هي دراسة اللامعقول بآليات عقلية، وفلسفة الدين هي البحث العقلي غير المقيد بالمسلمات الدينية ذاتها على نحو قبلي، كما هو الحال المعهود في علم الكلام، بحيث لايتحرك نحو هدف مرسوم مسبقآ من اجل اعادة انتاجه بطريقة تدفع شبهات الخصم، وانما يجد عبر المقارنات والنقد الى تأويل يشبع فضول العقول ويحل اشكالات ملحه في الواقع الراهن، فلا يفترض في فلسفة الدين الانطلاق من أي ادعاءات مسبقة او معتقدات وتهدف الى فحص اساس المعتقد الديني، ومن اجل هذا لاتستطيع الادعاء بأن اي معتقدات دينية هي صادقة او كاذبة. اذ فلسفة الدين لاعلاقة لها بأيمان فيلسوف الدين والباحث والدارس في هذا الحقل او عدم ايمانه، كما هو حال المتكلم او اللاهوتي في اللاهوت وعلم الكلام، ذلك ان الباحث في فلسفة الدين يفترض ان يكون محايدآ،  اذ فيلسوف الدين باحث يتحرى الحقيقة، كما هو الباحث في اي حقل من حقول الفلسفة، فربما يكون الفيلسوف مؤمنآ وربما يكون ملحدآ او لا ادريآ. ان فلسفة الدين ليست الدفاع العقلاني عن الدين، اي الذي يعني الدفاع الاستدلالي والفلسفي عن المعتقدات الدينية، لأن الهدف النهائي من الدفاع ليس سوى تبرير واثبات حقانية دين ما او مذهب خاص، بينما فلسفة الدين كأحد فروع الفلسفة هي الحركة العقلية والتفكيرية الحرة، في نطاق الدين والمذهب.